الحركات النسوية وحقوق المرأة في إفريقيا:
قراءة في ضوء الفكر الإسلامي والهوية الإفريقية

د. محمود سورو

مدير مركز الفكر الإسلامي المعاصر والدراسات القرآنية
والأسرية والقانونية – كوت ديفوار

الحديث عن النِّسْوِيَّة في إفريقيا قضية مركّبة، فالمرأة بحكم اختلافها البيولوجي تختلف رؤيتها وتفسيرها للظواهر والأحداث عن الرجل. وفي نهايات القرن الـ١٨ نشأت حركة نسوية غربية تطالب بتحرير المرأة من الرجل الغربي الذي طالما عانت من ويلاته. وتزامن ذلك مع كفاح الإنسان الإفريقي ونضاله التحرّري من احتلال إفريقيا، وُسِمَت مشاركةُ المرأة في ذلك لاحقاً بـ((النسوية الإفريقية)).

وفـي السـبعينيات؛ تقاربـت وجهـاتُ نظر النسـويات الغربية والإفريقية قبل استقلال هذه الأخيرة؛ بسـبب عنصرية «الغربيات البيضاوات» تجاه «الملوّنات والسـوداوات». وفي التسعينيات؛ ظهرت الموجة النسـوية الثالثـة فعَوْلَمَت الطرح النسوي؛ فباتت إفريقيا المعاصرة حلبة صراعٍ بين مختلف التيارات النسوية المتعارضة.

وإذا كانت النسـوية تنطلق من فكرة اضطهاد المرأة والعـداء للرجل؛ بوصفه مسـؤولاً عن كلّ معاناتها، فما مدى تقاسـم الهمـوم والمعاناة بين الغربيـات والإفريقيـات؟، وعلى فرض التسـليم بمسؤولية الرجل عن معاناتها مثلاً؛ فمن المسؤول عن معاناة الرجـل الإفريقي في هذه الكوكبة، في ظلّ المحاولات الانقلابية النسوية ضدّ الذكورية؟.

ووفق هذا الإشـكال؛ سنسـلّط الضوء على: الحركات النسـوية في إفريقيـا: نبذة عن التاريخ والواقـع (مطلـب أول)؛ ونقد الجـذور الفكرية للنسـوية في ضـوء الفكـر الإسـلامي والهويّة الإفريقية (مطلب ثانٍ).

المطلب الأول: الحركات النسوية: نبذة عن تاريخها وواقعها في إفريقيا:

تعـددت تعاريف «النسـوية» تبعـاً لاختلاف الاتجاهـات والمدارس الفكرية والفلسـفية التي عرفتها الحركات النسـوية عبـر التاريخ، فبينما يعرّفها القاموس الفرنسـي رُوبِيـرْ Le Robert بكونهـا: «عقيدة تدعو إلى المسـاواة بين الرجل والمـرأة، وتوسـيع دور المرأة فـي المجتمع»[١] مثلاً، ترى عالمة النفس السـنغالية أَمِينَاتَا امْبِينْغْ Aminata Mbengue[٢] أن «النسـوية تعنـي الإطاحـة renverser بالنظام الأبوي الذكوري أو

(١) https://dictionnaire.lerobert.com/definition/feminisme

(٢) أخصائية نفسية إكلينيكية ونسوية سنغالية.

باتت إفريقيا جنوب الصحراء أرضية خصبة لتطبيق مشاريع التيارات النسوية المتصارعة، بغطاء أجندات سياسية وأيديولوجية خادمة لمصالح القوى الغربية والأوروبية

السـلطة الأبوية le patriarcat، والتي تشير إلى فكرة أن سلطة تحديد كيفية عمل المجتمع مملوكة للرجال»[٣].

ومن حيث النشـأة والتطور التاريخي للنسوية وواقعهـا في إفريقيـا؛ فنبيّن ذلـك انطلاقاً من ميلادهـا لغـةً واصطلاحـاً، إذ يختلـف ميلاد «النسـوية» بوصفهـا مصطلحـاً، عـن ميلادها باعتبارها حركة فكرية.

أولاً: ميلاد مصطلح النسوية لغةً:

ووفقاً لاطلاعنا؛ فمصطلح «النسوية» دخل إلى اللغة الفرنسية سنة ١٨٣٧م، فيُنسب إلى الفيلسوف الفرنسـي شَـارْلْ فُورِيـي Charles Fourier (١٧٧٢-١٨٣٧م)، بوصفـه أول مَـن قام بصياغة كلمة Féminisme، التي تعني «النسـوية»، وذلك في عام ١٨٣٧م[٤].

ومـع ظهور مقالة بعنـوان: «الرجل - المرأة» Homme-femme، للكاتب الفرنسي أَلِكْسَنْدَرْ

(٣) Publiй le 09/03/2022, sous le thиme: Fйminisme en Afrique: qu'est-ce que cela signifie ?voir: https://www.bbc.com/afrique/60665897

(٤) Goldstein Leslie F. (1982). «Early Feminist Themes in French Utopian Socialism: The St.-Simonians and Fourier». Journal of the History of Ideas. 91–108.

دُومَاسْ Alexandre Dumas (١٨٢٤-١٨٩٥م)[١]، وطبعت مقالته عام ١٨٧٢م. وقد استعمل دُومَاسْ مصطلح «النسوية» هنا «لوصف النساء اللواتي يتصرّفن بطريقة ذكورية»[٢]، وصحيح بأنّه استخدمه بمعنى ازدرائي مناهض للنسوية، ولكنّ ظهور كُتَيِّبَه قد أسهم في انتشار المصطلح في كلٍّ من فرنسا وهولاندا.

ثم تمّ استخدامه ونشره منذ عام ١٨٨٢م على يد هُوبِرْتِينْ أُوكْلِيرْ Hubertine Auclert (١٨٤٨-١٩١٤م)[٣]، الناشطة النسوية الفرنسية والمدافعة عن حق المرأة في التصويت، والتي أعطت الكلمة معناها الحالي[٤].

وهكذا؛ تطوّر استعمال مصطلح النسوية عبر الزمن، فظهر في المملكة المتحدة عام ١٨٩٠م[٥]، ثم اكتسح الساحة بفضل الصحافة خلال مؤتمر «نسويّ» نظّمته أُوجِينِي بُوتُونِي بِييرْ Eugénie Potonié-Pierre (١٨٤٤-١٨٩٨م)[٦]، في مايو ١٨٩٢م في بَارِيسْ[٧] Paris، ثمّ في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٥م، وفقاً لقاموس أكسفورد الإنجليزي[٨].

ثانياً: ميلاد النسوية باعتبارها حركة فكرية:

أمّا النسوية باعتبارها حركة فكرية واجتماعية؛ فقد وُجِدَت قبل ظهور مصطلح النسوية، إذ تعود جذور أفكار تحرير المرأة وتحررها إلى عصر التنوير، وما أنتجه من أفكارٍ وضعية وعقلانية ألهمت عدداً من الثورات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها أوروبا في القرنين ١٨ و١٩ الميلاديين، من ضمنها الحركات النسوية، التي تعتمد على الحركات أو النضالات القديمة للمرأة في سياقات تاريخية أخرى، وعُرفت فيما بعدُ بـ«النسوية البدائية»[٩] Proto-féminisme.

فكان لفلاسفة عصر الأنوار والحداثة دعاة حقوق الإنسان اتجاهان رئيسان تجاه حقّ المساواة بين الجنسين:

- **اتجاه أول:** قرّر اللّامساواة بين المرأة والرجل: مثل جُونْ جَاكْ رُوسُو Jean-Jacques Rousseau (١٧١٢-١٧٧٨م) في كتابه (أصل التفاوت بين الناس)[١٠]، الذي رأى «المساواة في عالم الذكور فقط»[١١].

- **واتجاه ثان:** أخذ على عاتقه إرساء المساواة بين الجنسين: مثل كُونْدُورْسِي Condorcet،

(١) روائي وكاتب مسرحي فرنسي شهير.

(٢) فيمينزم (الحركة النسوية) مفهومها أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية، نرجس رودكر، تعريب هبة ضافر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت لبنان، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، ص١٤.

(٣) اسمه الكامل هو مَارِي آنْ هُوبِرْتِينْ أُوكْلِيرْ « Marie Anne Hubertine Auclert». وهي صحفية وكاتبة وناشطة نسوية فرنسية، ناضلت من أجل أهلية المرأة وحقها في التصويت، وحقها في الحصول على مقعد في البرلمان.

(٤) https://fr.wikipedia.org/wiki/F%C3%A9minisme

(٥) Cott Nancy F. (1987). The Grounding of Modern Feminism. New Haven: Yale University Press. p.13.

(٦) نسوية فرنسية، مؤسسة الفيدرالية الفرنسية للجمعيات النسوية La Fйdйration Franзaise des Sociйtйs Fйministes عام ١٨٩١م، ضمّت إليّانها ثماني جمعيات نسوية.

(٧) Karen Offen, «Defining Feminism: A Comparative Historical Approach», Signs, Vol.14, No.1, 1988, p.126.

(٨) https://www.oed.com/dictionary/feminism_n

(٩) اصطلاح فلسفي يُستخدم للتعبير عن حركة المساواة بين الجنسين في عصر ما قبل مفهوم «النسوية».

(١٠) Le Discours sur l'origine et les fondements de l'inйgalitй parmi les hommes.

(١١) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حفناوي بعلي، ص١٢.

(١٧٤٣-١٧٩٤م)[١]، الـذي أثبت في مؤلَّفه (قبول النسـاء في حقّ المواطنة) انتهاك الرجال حقوق المسـاواة، بحرمانهـم نصف النوع البشـري من المشـاركة في رسـم القوانين، وطالب للنسـاء بالمساواة السياسية التامة[٢].

وعليه؛ كانت جهود رائدات الحركات النسـوية بين دحضٍ لأطروحات فلاسـفة الأنوار المناوئين لحقوق المسـاواة بين الجنسـين، وبيـن انتصارٍ لمقولات المناصريـن للقضية، فبرزت البريطانية مَارِي وُولْسْتُونْكَرَافْتْ Mary Wollstonecraft (١٧٥٩-١٧٩٧م)[٣]، بكتابها الذي صدر عام ١٧٩٢م بعنـوان (دفاعاً عن حقوق المـرأة)[٤]، منادية فيه بحقّ المرأة في التعليم مثـل الرجل، فكان كتابها بحـقٍّ «نصّـاً نسـويّاً صريحاً، وفاتحـة الحركة النسـوية»[٥]، فكان سبباً في تسميتها، لدى الكثير من الباحثين، على أنّها «مُؤسِّسة النسوية»[٦].

ثم جاء مؤتمر سِـينِيكَا فُولْزْ Convention de Seneca Falls، الـذي انعقـد في الولايات الأمريكية سنة ١٨٤٨م، بحضور ٢٦٠ امرأة، للتأكيد على الدعوة للحدّ من التمييز على أساس الجنس، فكان بذلك أول اتفاقية لحقوق المرأة في الغرب، وعُرفت بـ«وثيقة المشـاعر»[٧]، التي مثّلت الولادة الحقيقية للنسوية الأمريكية[٨].

وبالجملة؛ فقد أخذت النسوية الطابع الحركيّ في المجتمع البريطاني، ثـم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ففرنسا، لتنتشر بعد ذلك في ربوع العالم.

ثالثاً: عولمة الحركات النسوية وموجاتها:

تنقسم النسـوية إلى أربع موجات كبرى، وفق حدودها الزمنية، وهي:

الموجة الأولى: حق الاقتراع والتعليم (١٨٤٨-١٩٢٠م):

انطلقت الموجة النسـوية الأولـى مع إعلان «وثيقـة المشـاعر»[٩] التي تمخضـت من مؤتمر سِينِيكَا فُولْزْ Convention de Seneca Falls في أمريكا سنة ١٨٤٨م، إذ تضمنت الوثيقة قرارات تدعو إلى منح المـرأة حق الاقتراع والتعليم، على وجه الخصـوص. ورغم منح النسـاء البيضِ حقّ التصويت عام ١٩٢٠م، إثر المصادقة على التعديل التاسع عشـر (١٩) للدسـتور، فقد ظلّت النساء السود والملوّنات محرومات من ذلك إلى ١٩٦٥م. وسُمّيت هذه الموجة فيما بعد بالموجة الليبرالية، وبتيار المساواة بين الجنسين.

الموجة الثانية: حق المساواة بين الجنسين (١٩٦٣-١٩٨٠م):

رامت الموجـة الثانية تحقيق المسـاواة بين الجنسـين، فتبنّـت نظريـة سِـيمُونْ دِي بُوفُوَارْ Simone de Beauvoir، (١٩٠٨-١٩٨٦م)[١٠] فـي كتابها (الجنس الثانـي)[١١]، بقولها: «لا يولد

(١) اسمه: مَارِي جَانْ أَنْطُوَانْ نِيكُولَا كَارِيتَا Marie Jean Antoine Nicolas de Caritat رياضيّ وفيلسوف فرنسي.

(٢) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حفناوي بعلي، ص١٢.

(٣) كاتبة فيلسوفة، ومناصرة لحقوق المرأة.

(٤) A vindication of the rights of women.

(٥) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حفناوي بعلي، ص١٢.

(٦) Kirstin Hanley, Mary Wollstonecraft, Pedagogy, and the Practice of Feminism, Routledge, Jul 18, 2013 - Literary Criticism - 198 pages.

(٧) Declaration of Sentiments.

(٨) https://www.history.com/topics/womens-history/seneca-falls-convention

(٩) Declaration of Sentiments.

(١٠) ناشطة سياسية ونسوية، عُرفت بالشذوذ والمثلية.

(١١) Le Deuxиme Sexe.

الإنسان امرأةً، وإنّما يُصبحها»[١]. ومعناه: أنّ الذكورة والأنوثة ليس أمراً طبيعيّاً محدَّداً بالولادة، وإنّما فرضَه البناء الاجتماعي الذكوري، الذي قسّم الإنسان إلى الذات والجنس الأصل هو «الذكر»، والجنس الثاني التابع وهي «المرأة»، وهي تقسيماتٌ مجتمعية يمكن إلغاؤها وتغييرها للمساواة بين الجنسين. واتُّهِمَت الموجةُ بتركيزها على النساء البيضاوات، وتجاهل وضعية السوداوات والملوّنات، فقامت هذه الأخيراتُ إلى تأسيس المنظمة الوطنية للنسوية السوداء سنة ١٩٧٣م.

الموجة الثالثة: الحرّية الجنسية والمثلية: (١٩٩٠-٢٠١٠م):

ولدت هذه الموجة بظهور كتاب سُوزَانْ فَالُودِي Susan Faludi عام ١٩٩١م، بعنوان: (رد الفعل: الحرب غير المعلنة ضدّ المرأة الأمريكية)[٢]، بمثابة ردّة فعلٍ على وسائل الإعلام المحافظة والسياسيين الذين أعلنوا نهاية النسوية، وقيام «ما بعد النسوية». وتميّزت بالطرح النسوي عالميّاً، معتبرةً أن النساء في دول العالم الثالث يعشن في هامش الهامش، بينما تعيش نساء العالم الأوّل في حالة الهامش فقط. فتبنّت بذلك نظرية التقاطع Intersectionnalité بين العرق والجندر عند كِيمْبِرْلِي كْرِينْشُو Kimberlé Crenshaw، ودعم حقوق المثلية وفق تنظير جُودِيتْ بَتْلَرْ Judith Butler.

الموجة الرابعة: مناهضة العنف للنساء في المجال الرقمي: (٢٠١٢م-؟):

هذه الموجة رأت النور عام ٢٠١٢م، متكئةً على وسائل التواصل الاجتماعية لتسليط الضوء على مطالبهنّ، والتعبير عن مخاوفهنّ ومعالجتها، عبر إطلاق حملات مناهضة للعنف ضد النساء، كالتحرّش الجنسي والاغتصاب الفردي والجماعي، وإجبار النساء على الجنس قسراً، بشتى السبل والوسائل، فضلاً عن تعرّضهنّ للأذى والقتل. وباتت تُعرف اليوم بـ«أنا أيضاً» Me too. وبعض هذه الشريحة ناشطاتٌ وكاتباتٌ يتراوح تواريخ ميلادهنُّ ما بين عامي (١٩٨١-١٩٩٦م)، ولكنّ الأغلبية الساحقة منهنّ مواليد منتصف التسعينيات إلى ٢٠١٠م[٣].

رابعاً: التيارات الفكرية والأيديولوجية للنسوية:

وقد بات اختلاف الاتجاهات وتضارب الرؤى واضحاً بين الحركات النسوية، فقد «أفرزت هذه الحركات عديداً من المواقف والنظريات يصعب الجمع أو المصالحة بينها، بل أصبح تبادل الشتائم بين مختلف المدارس النسوية، أو تحقير النساء اللاتي لم ينضممن إلى الحركة النسوية أمراً متعارفاً عليه»[٤].

وبالجملة؛ فقد عرفت النسويةُ انشقاقاتٍ في صفوفها إلى تيارات فكرية متعارضة، والخلافُ بينها أيديولوجيّ عميق، يستمدّ جذوره من العقيدة والتاريخ.

ومن أبرز التيارات النسوية على سبيل المثال لا الحصر:

١- النسوية الليبرالية:

وهو أول اتجاه رئيسيٍّ للنسوية، فقد وُلد من

(١) On ne naot pas femme: on le devient

(٢) Backlash: The Undeclared War Against American Women.

(٣) Mohajan, Haradhan, Four Waves of Feminism: A Blessing for Global Humanity, Studies in Social Science & Humanities, SEP. 2022 VOL.1 NO.2, pp.1-8. Paradigm Academic Press. pp.14 -15.

(٤) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حفناوي بعلي، ص٧٩.

رحم النداءات العامة لليبرالية، ثمّ شكّلت الموجة النسوية الأولى، وظلّت حاضرة في الموجات بعدها حتى اللحظة[١].

وتسعى النسوية الليبرالية لتحقيق حق المساواة بين الجنسين، معتبرةً أن المجتمع يتكوّن من أفراد، وهؤلاء الأفراد متمايزون بيولوجيّاً إلى رجال ونساء، وبالتالي يملكون حقوقاً متساوية[٢]، بمعنى أنّ الذكر والأنثى يتمتعان بنفس القدرات العقلية والجسدية، فلكل واحدٍ منهما القدرة على تدبير شؤونه الخاصة، وصون مصالحه باختياراته الفردية، لكنّ النظم التعليمية والقانونية والسياسية لم تمنح للمرأة نفس الفرص التي يتمتع بها الرجل، فأصبحت تابعةً له وأقلّ كفاءة منه. ولذلك؛ تطالب النسوية الليبرالية بإحداث إصلاح قانوني وسياسيّ يحقق المساواة بين الجنسين.

٢- النسوية الماركسية / الاشتراكية:

وهي المنافس المباشر للنسوية الليبرالية، وتركز على الدور الكبير والحاسم الذي تمارسه القوى المادية، وبخاصة الاقتصادية منها، في تحديد شكل حياة النساء. وتُسمّى أحياناً بـ«النسوية المادية»[٣].

وتُرجع النسوية الماركسية سبب اللامساواة بين النساء والرجال إلى طبيعة النظام الرأسمالي. ولتحقيق المساواة بينهما فلابدّ من إسقاط الرأسمالية والقضاء عليها، لعملها في ترسيخ الفوارق الطبقية بين الجنسين.

وأما النسوية الاشتراكية؛ فترى أنّ اضطهاد المرأة وظلمها كان موجوداً في مختلف المجتمعات قبل الرأسمالية، وعليه؛ تحمل الرأسمالية نسبة كبيرة في استغلال المرأة لدى الرجل، غير أن هناك سبباً إضافياً في ذلك، وهو النظام البطريركي «الأبوي»[٤].

وعليه؛ فإذا كانت الرأسمالية مصدر الاضطهاد الأول بالنسبة للنسويين الماركسيين؛ فإنّ النسويين الاشتراكيين يرونه في الرأسمالية والأبوية معاً[٥]. ولذلك؛ تطالب النسوية الماركسية/ الاشتراكية بإصلاح نظامي الرأسمالية والأبوية، تحقيقاً لمبدأ المساواة بين النساء والرجال.

٣- النسوية الراديكالية:

تعتبر أنّ علّة اللامساواة بين الجنسين والهيمنة الاجتماعية للرجال على النساء راجعةٌ إلى النظام الأبوي الذي قسّم الحقوق على أساس الجنس. ولتحسين وضعية المرأة فلابدّ من هدم هذا النظام، بناءً على أنّ: «النظام الأبوي الذي يقمع المرأة نظام لا يمكن تعديله، بل يجب القضاء عليه من جذوره»[٦].

وعليه؛ فقد انطلقت النسوية الراديكالية من منطق صراع حقيقيٍّ مع الذكور، لا من رؤية إصلاحية للنظم التعليمية والقانونية السياسية، مثلما هي مطالب النسويات الليبرالية والماركسية والاشتراكية، ونتج عن ذلك المطالبة بضرورة التخلّي عن «الأنوثة»، لكونها سبب الزواج والإنجاب والأمومة، مما تُبقي المرأة ربّة بيتٍ، تابعةً للرجل... فالحلّ إذاً- في رؤية النسوية الراديكالية- هو القضاء على النظام الأبوي الذكوري برمّته، لا

(١) فيمينزم (الحركة النسوية) مفهومها أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية، نرجس رودكر، ص٨١.

(٢) المقاربة النسوية للعلاقات الدولية، عديلة محمد طاهر، مجلة المفكر، جامعة محمد خضير ببسكرة، العدد الثالث عشر – ٢٠١٥، ص٤٥٦.

(٣) المقاربة النسوية للعلاقات الدولية، عديلة محمد طاهر، ص٤٥٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) هل تحمل الحركة النسوية مشعل الحضارة للمرأة الإفريقية جنوب الصحراء؟، أ. سيدة محمود محمد، مجلة قراءات إفريقية، العدد (٢٣)، محرّم – ربيع الأول ١٤٣٦هـ / يناير – مارس ٢٠١٥م، ص٥٧.

التصالح معه، ولا إصلاح بعض جوانبه.

وهنـــاك تياراتٌ أخرى، مثل النســـوية البيئية، والنسوية الإسلاموية، فضلاً عن النسوية السوداء، والنسوية الإفريقية التي هي محلّ دراستنا هاته... وتظلّ القواسم المشتركة بينها هي التعلق بمشروع تحرير المرأة وتحسين وضعيتها.

خامساً: النسويات الإفريقية: نشأتها - استقلالها - بناؤها الفكري:

ترفـــض الغالبية الســـاحقة مـــن الإفريقيات «النســـوية»، ولكنها باتت تسري في إفريقيا سريان الدم في الجسم، بدعم من القوى الغالبة ومنظمات الحقـــوق الدوليـــة والإقليمية. فقـــد ظلّت هموم المرأة جنوب الصحراء مـــا بين نهايات القرن ١٨ وخمســـينيات القرن ٢٠م مركزةً فـــي البحث عن ســـبل تحرير كامل لإفريقيا والإنسان الأسود Les Noirs من الاضطهاد والظلم الذي فرضه الرجل الأبيض Les Blancs، نتيجة الاستعمار والعبودية.

ومع حلول الســـبعينيات؛ وقع تماسٌ واحتكاك بين النســـاء الغربية والإفريقيـــات، ورغم حصول تحالف بينهـــنّ في بعض المناســـبات، ولكن، في أغلب الأحوال، حصلت شكوك في وجود العنصرية اللاواعية للنســـاء البيضاوات تجاه السوداوات، إذ «ضمن الحركة النسوية؛ ظلّ الصراع العنصري بين النســـاء البيض والنساء الملونات قضية مهمة»[١]، فنما شعور النساء الســـوداوات أنّهنّ «وقعن تحت ظلم النســـاء البيضاوات اللاتي يتجاهلن مشاكلهنّ الخاصة»[٢].

وتطـــوّر الصـــراع العنصريّ فـــي أمريكا إلى انفصال النسوية الســـوداء عن النسوية البيضاء، بحكم أنّ «الغالبية الســـاحقة من النســـاء السود لم يكنّ يشـــعرن بأي رابطٍ يربطهنّ بالنسوية التي سادت في السبعينيات»[٣]. وتأسيساً عليه؛ أخذت النسوية الإفريقية استقلالها عن النسوية الغربية، بالجملة.

وبوصفها شاهدة عيان، تصف السنغالية فَاتُو صُو Fatou Sow أحداث تحرّر النسوية الإفريقية من تبعية النســـوية الغربية، قائلـــةً إنّ إفريقيات الستينيات والسبعينيات «كنَّ يرفضنَ النسوية بسبب الغطرسة الغربية»[٤]، وأنّ تلك الغطرسة تجلّت في أوضح صورها خلال لقاء وِيسْـــلِي كُولِيجْ Wesly College عندمـــا نظمـــت النســـاء البيضاوات الأمريكيات الثريات ورشـــة عمل حول النساء في الســـبعينيات، وكانت الإفريقيـــات الحاضرات في الدرجة الثانية، إذ تمّ اســـتدعاء باحثات إفريقيات حاملات الدكتوراه، وكانت رغبتهنّ المشاركة وإبداء آرائهم وتحليلاتهنّ حـــول الموضوع، لكنّهنّ قوبلن بالتهميش، بحكم أنّ إفريقيا كانت بمثابة حقولٍ في وجهة نظرٍ غربية، فيقال مثلاً: تنزانيا هي حقلي، وأوغندا هي حقلي، مما ســـبّب استياءً كبيراً لدى الإفريقيات الحاضرات آنذاك[٥].

كانـــت هذه الحادثـــة بمثابة طـــلاقٍ بائنٍ بين النســـوية الغربيـــة والإفريقية، فدخلت النســـوية الإفريقيـــة في عمليـــة حفر للتاريخ، لاكتشـــاف مســـاهمة المرأة الإفريقية في النضال النســـوي،

(١) Le fйminisme noir des Etats Unis ou «Black ,Feminism», p.2 https://ancrages.org/wp content/uploads/2012/02/ feminisme-noirleger.pdf

(٢) فيمينزم (الحركة النسوية) مفهومها أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية، نرجس رودكر، ص١٤٣.

(٣) النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ص١٨٠.

(٤) Publiй le 11/03/2020, sur le thиme: https:// information.tv5monde.com/video/droits-des-femmes-en-afrique-14-fatou-sow-une-defricheuse-du-feminisme-africain

(٥) Publiй le 11/03/2020, sur le thиme: https:// information.tv5monde.com/video/droits-des-femmes-en-afrique-14-fatou-sow-une-defricheuse-du-feminisme-africain

ومن ثمّ تشـــييد هوية نسوية إفريقية مستقلة. وقد كان كتاب الســـنغالية أَوَا تِيَـــامْ Awa Thiam، الصادر عام ١٩٧٨م، بعنوان: (الكلمة إلى الزنجيات) La Parole aux Négresses، بمثابـــة العمـــل التأسيسي للنسوية في إفريقيا الناطقة بالفرنسية.

وتفتخـــر نســـوياتٌ إفريقية باســـتغنائها عن النســـوية الغربية، كالدكتورة الســـنغالية رَامَا سَلَّا دِينْغْ[١] Rama Salla Dieng في قولها: «لإفريقيا نسوياتها أيضاً، وهي لا تدين بها للغرب»[٢]. وتؤمن كذلك بأقدمية النسوية الإفريقية على غيرها، كما قالت رَامَا أيضاً: «وجود النسوية في إفريقيا قديم قدم القارة الإفريقية نفسها»[٣].

وتقوم النسوية الإفريقية على فكرة مؤادها: أنّ النساء ذوات البشرة السوداء مُعَرّضَاتٌ دوماً لظلم مضَاعَف؛ فمن ناحيةٍ هنّ ضحيةٌ لعنصرية الرجالِ البيض، ومن ناحيةٍ أخرى وقعنَ تحت ظلم رجالهنّ، ومن ناحيةٍ ثالثة وقعن تحت ظلم النساء البيضاوات اللاتي يتجاهلن مشاكلهنّ الخاصة[٤].

سادساً: نبذة عن التيارات النسوية في إفريقيا المعاصرة:

كثيرةٌ هي التيـــارات النســـوية الحاضرة في إفريقيا المعاصرة، وتؤكّد ذلك الدكتورةُ السنغاليةُ رَامَا سَـــلاَ دِينْـــغْ من خلال كتابهـــا الصادر عام ٢٠٢١م بعنوان: (النسويات الإفريقية: تاريخ تحرر من الاستعمار)[٥]، كما أكّدت أيضاً أنّ «الانقسامات في الحركات النسوية ثابتة»[٦].

وسنحـاول تصنيـف تيـارات النسويـة الإفريقية وفق اطلاعنا، كما يأتي:

الأول: النسوية الإفريقية الراديكالية Féminisme Africain radical:

وتتميز بسعيها الحثيث لتطبيق النسوية الغربية بحمولاتها الفكرية والأيديولوجية في إفريقيا، بقلب النظـــام الأبوي البطريركـــي Patriarcat لصالح نظام الأمومـــة Matriarcat، أولاً، ودعم قضايا المساواة، والحرّية والمثلية الجنسيتين، ثانياً.

الثاني: النسوية التقليدية Féminisme traditionnel**: أو النسوية المعتدلة** Féminise modéré:

وهـــي تقتصر فـــي غالب مطالبهـــا بإنصاف المرأة وإصلاح بعض الأعراف والتقاليد تجاهها. ومعظم هذه الشريحة من نسويات جيل السبعينيات والثمانينيات المحافظات على بعض القيم والتقاليد الإفريقية، خلافاً للنسوية الراديكالية.

ففي حين تطالب النسوية الإيفوارية الراديكالية حكومة أبيدجـــان بتفعيل الحق المطلق في الإنهاء الطوعي للحمل، أو الإجهاض، مثل إيلَالِي كُوَاسِي Eulalie Kouassi[٧]، تحقيقـــاً للحـــقّ المطلق للمرأة في التصرّف التام بجســـدها أنّى شـــاءت، بما في ذلك الإجهاض، تطالب النســـوية التقليدية المعتدلة بتطبيق (المادة ١٤) من بروتوكول مابوتو Protocole de Maputo المجيـــز للإجهاض

(١) متخصصة في النسوية ومحاضرة في التنمية الدولية والدراسات الإفريقية في جامعة. إدنبرة Universitй d›Edimbourg a lЙcosse ، في اسكتلندا.

(٢) Publiй le 07 novembre 2021, sur: https://www.lemonde.fr/afrique/article/2021/11/07/l-afrique-a-aussi-eu-ses-feminismes-et-elle-ne-le-doit-pas-a-l-occident_6101264_3212.html

(٣) Idem.

(٤) فيمينزم (الحركة النسوية) مفهومها أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية، نرجس رودكر، ص١٤٣.

(٥) Fйminismes africains, une histoire dйcoloniale (йd. Prйsence Africaine, 2021), 219 pages.

(٦) Publiй le 07 novembre 2021, sur: https://www.lemonde.fr/afrique/article/2021/11/07/l-afrique-a-aussi-eu-ses-feminismes-et-elle-ne-le-doit-pas-a-l-occident_6101264_3212.html

(٧) ناشطة حقوقية نسوية.

حال الإحساس بخطرٍ في حياة الأم، مثلاً[١].

الثالث: شريحة الأفرو-نسوية Afro-féminisme:

وهنّ النسويات الإفريقيات المقيمات في الشتات، ويواصِلْنَ نضالهنّ لتحسين وضعية النساء الإفريقيات داخل القارة وخارجها. وهذه الشريحة متهمة بإهمالٍ جزئيٍّ لهموم المرأة في إفريقيا، إذ وفقاً للكاميرونية فْرَانْسُوَازْ مُودُوثْ Françoise Moudouthe[٢] فإن «النسوية الإفريقية، التي تحملها النساء السود خارج القارة، لا تبذل جهوداً كافية للتواصل مع الحركة النسوية الإفريقية»[٣].

الرابع: النسوية الأفريقانية Féminisme panafricain:

وهو اتجاه نسويٌّ يسعى لتحرير إفريقيا من الهيمنة الغربية والعربية، وتحرير الإفريقيات من هيمنة «الذكورية الإفريقية». والنسوية الأفريقانية ترفض بشكلٍ قاطع «هيمنة النسوية البيضاء، ذوات المركزية الأوروبية، والأبوية المغايرة»[٤].

وللإشارة؛ فإنّ هذه الأخيرة مغايرة للنساء الإفريقانيات Femmes Panafricanistes اللواتي أولَيْنَ اهتمامهنّ مع الرجال الأفريقانيين في مناهضة الهيمنة الإمبريالية والنيوكولونيالية في إفريقيا، دون الدخول في صراعٍ مع الرجل، كالدكتورة المالية أَمِينَاتَا دْرَمَانْ تراوري Aminata Dramane Traoré، والكاميرونية نَاتَالِي يَامْبْ Nathalie Yamb، والسنغالية فَاتُو دِيُومْ Fatou Diom.

الخامس: النسوية الإسلامية:

وتُعرَّف بكونها استناد المسلمات إلى النصوص الشرعية في نضالهنّ التحرّري من هيمنة الرجال. ووفق اطلاعنا؛ فإنّ النسوية الإسلامية لم تتشكل بصورة واضحة في إفريقيا، مقارنةً مع العالم العربي والإسلامي، رغم حضور ملامحها في أوساط بعض الداعيات والمعلّمات في المنطقة.

أما الاتجاهات النسوية ذوات المرجعية العلمانية الليبرالية والاشتراكية؛ فمبدأها مناهضة الإسلام والمسيحية. وها هي ذي السنغالية فَاتُو صُو Fatou Sow تعارض النسوية الإسلامية بشدّة، وترى أنّها «تبحث عن طرق لتحرير المرأة اليوم في نصٍّ عمره أربعة عشر قرناً»[٥]، مضيفةً: «في الواقع؛ تم إنشاء النسوية الإسلامية من قِبَل نساء يعشن في دولة دينُها الإسلام، وحيث، إذا أردن النضال، لا يمكنهن القيام بذلك إلا في إطار القرآن، كما هو الحال في إيران أو المملكة العربية السعودية. إنها إستراتيجية»[٦].

قدّمنا نبذة عن النسوية مفهوماً وتاريخاً وواقعاً إفريقيّاً، وسنردفها بقراءةٍ لجذورها إسلاميّاً وإفريقيّاً.

المطلب الثاني: الجذور الفكرية للنسوية في ضوء الفكر الإسلامي والهوية الإفريقية:

تنطلق النسوية من فكرة: «اضطهاد المرأة،

(١) نظام الأسرة في إفريقيا الغربية في ضوء القيم الإسلامية والقوانين الوضعية: كوت ديفوار نموذجاً، د. محمود سورو، قراءات إفريقية - سلسلة الرسائل الجامعية (٧)، الطبعة الأولى ٢٠٢٤م، ص (٤١٢-٤١٣).

(٢) ناشطة نسوية كاميرونية.

(٣) Publiй le 07 novembre 2021, sur: https://www.lemonde.fr/afrique/article/2021/11/07/l-afrique-a-aussi-eu-ses-feminismes-et-elle-ne-le-doit-pas-a-l-occident_6101264_3212.html

(٤) https://www.jeuneafrique.com/1500080/culture/feminisme-pour-rama-salla-dieng-saffirmer-en-sujet-politique-est-urgent/

(٥) Publiй le 30/11/2019, sur: https://www.seneplus.com/societe/fatou-sow-defricheuse-du-feminisme-africain

(٦) Idem.

والعداء للرجل؛ بوصفه مسؤولاً عن كلّ معاناتها»[١]، فتقود حرباً شعواء ضدّ «الذكورية»، عبر تفكيك التاريخ والدين واللغة، استناداً إلى أساطير آلتْ إلى أيديولوجيات.

أولاً: أسطورة النظام الأمومي القديم ونشوء فكرة الإلهة الأنثى في العقيدة النسوية:

١- النظام الأمومي Matriarcat: مفهومه وتاريخه:

النظام الأمومي Matriarcat هو النظام الاجتماعي الذي تكون فيه السلطة للمرأة، فتؤدي دوراً رئيساً في صنع القرار. ويعرّفه قاموس روبير Le Robert الفرنسي بأنّه: «نظام قانوني أو اجتماعي تكون الأم فيه ربّ الأسرة. وهو خلاف النظام الأبوي Patriarcat»[٢]، الذي يرجع فيه القرار الرئيس إلى الرجل.

وقد طُرح مفهوم «النظام الأمومي في عصر ما قبل التاريخ» عام ١٨٦١م، تزامناً مع نشر يُوهَانْ يَاكُوبُ بَاخُوفِنْ Johann Jakob Bachofen (١٨١٥-١٨٨٧م)[٣]، كتابه (حق الأم: دراسة في الشخصية الدينية والاعتبارية للنظام الأمومي في العالم القديم)[٤]، افترض بَاخُوفِنْ الأبوية التاريخية ظاهرةً حديثةً نسبياً، وقال إنها استبدلت الوضع السابق المتمثل في النظام الأمومي البدائي[٥].

٢- ملخص أسطورة النظام الأمومي القديم:

تقول الأسطورة: إنّ النساء والرجال عاشوا أحقاباً في عصور ما قبل التاريخ بسلام، ثمّ أدركوا جميعاً «أنّ الأنثى بالطبيعة أصل حياة بسبب قدرتها على ولادة الحياة الجديدة؛ فاعتبروها أكثر قدرة من الذكر، وبالتالي أعلى قيمة. ومن هنا أدت الفكرة في تلك العهود أن الآلِهَةَ أُنْثَى»[٦].

وقد مثّل المجتمع الأمومي فردوس الأرض[٧]، إذ كان الرجال يخدمون الإلهَةَ الأنثى، ويعملون تحت إمرة النساء ويكرمونهنّ. ثم تحوّلوا إلى النظام الأبوي بانقلاب الذكور على الإناث إثر صراع طويل، حتى اختفت الإلهة الأنثى تماماً، واختفى معها الدين والدولة معاً»[٨].

وعليه؛ فالمجتمع الإنساني قام على قيم الأنوثة ومكانة الأم، لا على قيم الذكورة وسلطة الأب[٩]، فتسعى النسوية للإطاحة بنظام الأبوية، وإعادة «النظام الأمومي»، لتعود المرأة إلى سلطتها السياسية، لأن «الأنثى هي الأصل»[١٠].

٣- نشأة الدين الأمومي Matriarchal religion:

نشأ في ظل أسطورة «النظام الأمومي القديم» افتراضُ بوجود دينٍ أمُومِيّ Matriarchal religion، وهي نظريات طرحها باحثون غربيون، أمثال يُوهَانْ يَاكُوبُ بَاخُوفِنْ Johann

---

(١) هل تحمل الحركة النسوية مشعل الحضارة للمرأة الإفريقية جنوب الصحراء؟، أ. سيدة محمود محمد، مجلة قراءات إفريقية، العدد (٢٣)، ص٥٦.

(٢) https://dictionnaire.lerobert.com/definition/matriarcat

(٣) مؤرخ سويسري للقانون والدين.

(٤) Bachofen, Johann Jacob, (mother Right) (1861) a Study of the Religious and Juridical Aspects of Gynecocracy in the Ancient World.

(٥) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%85%D9%8A

(٦) الأنثى هي الأصل، نوال السعداوي، ص٢٦.

(٧) لغز عشتار الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، تأليف فراس السواح، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٢م، ص (٣٢-٣٣).

(٨) توأم السلطة والجنس، تأليف وال السعداوي، هنداوي، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م، ص١٤.

(٩) Briffault, Robert. The Mothers, Athenaeum, New York 1977. pp.27-28.

(١٠) هذا عنوان لكتاب نوال السعداوي، طبعته مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م.

Jakob Bachofen (١٨١٥-١٨٨٧م)[١]، وجين إليـن هاريسـون Jane Ellen Harrison (١٨٥٠-١٩٢٨م)[٢]، ومَارِيَـا غِيمْبُوتَـاسْ Maria Gimbutas (١٩٢١-١٩٩٤م)[٣]. «قبل أن تنتشر لاحقاً بفضل الموجة النسـوية الثانية، أسـفرت إحدى الحركات المعنية بإحياء هذه الممارسات عن ظهور حركة الإلَهَة «الرَّبَّة» في القرن العشرين»[٤].

ثانياً: تفنيد أسطورة النظام الأمومي القديم وعقيدة الإلهة الأنثى:

تتهاوى أساطير النظام الأمومي القديم، وتبطلها جملة براهين، منها:

١- بناء الأسطورة على فرضيات طوّرها علماء الأساطير:

إنّ أسـطورة النظام الأمومـي مجرّد فرضية لأمثال يُوهَانْ يَاكُـوبُ بَاخُوفِنْ Johann Jakob Bachofen (١٨١٥-١٨٨٧م)، طَوَّرهـا مختصُّون في دراسـة الأسـاطير والدّين، أمثال جِينْ إِلِينْ هَارِيسُـونْ Jane Ellen Harrison (١٨٥٠-١٩٢٨م)[٥]، وجِيمْـسْ جُـورْجْ فْرِيـزِرْ James George Frazer (١٨٥٤-١٩٤١م)[٦]، قبـل أن تختطفها النسـويات من عَالِمَـةِ الآثار الأمريكية مَارِيَـا غِيمْبُوتَاسْ Maria Gimbutas (١٩٢١-١٩٩٤م)، ومعلومٌ أنّ الشائع في الدراسات الغربية والأوروبية المماثلة انطلاقها من «فرضيات»، تُدعَم لاحقاً بنظريات لتأكيدها.

٢- بيان زيف الإلهة الأنثى في عجزها عن الدفاع عن نفسها:

تذكر الأسـطورة أنّ الإلهة الأنثى قد اختفت تمامـاً، ولم يَعُدْ لها أَثَـرٌ يُذْكَرُ، فإن اختفت لموت فهي إلهـةٌ مزيّفةٌ، لأنّ الله تعالـى حيٌّ لا يموت، وهو على كلّ شـيء قدير. وإن اختفت مؤقّتاً لغير مـوت أيضاً، كالخوف من الإلـه الذكر مثلاً، فهي ضعيفـةٌ غير مؤهّلة للألوهية، لعجزها عن الدفاع عن النفس، فضلاً عن الغير. لأنّ الإلهة المهزومة في الأسـطورة هي الإلهـة الأم «الربّة الأمّ»، التي حلّ محلَّها الإلهُ الأبُ الجديدُ، وهو «الله سبحانه» عند المسلمين- تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً. وثبوت ضعف الإلهـة يُفقدها صفة الألوهية؛ فقد ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

٣- تفنيد الأسطورة في الدراسات الغربية والأوروبية:

في كتابهـا الصـادر عـام ٢٠٠٠م، بعنوان: (أسـطورة النظـام الأمومـي القديـم: لماذا لن يمنـح الماضي المخترَعُ مسـتقبلاً للمـرأة؟)[٧]، قامت المؤلفة سِـينْثِيَا إِيلِـرْ Cynthia Eller[٨] بتفكيك نظرية النظـام الأمومي القديم، وتوصّلت إلـى كونها فرضية نشـأت في دراسـات القرن التاسع عشـر، وتبنتها الموجة الثانية من الحركة النسوية في السـبعينيات اتباعاً للكاتبة الأمريكية مَارِيَـا غِيمْبُوتَاسْ Maria Gimbutas (١٩٢١-

(١) مؤرخ سويسري للقانون والدين.

(٢) أستاذة جامعية وباحثة في تاريخ العصور الكلاسيكية وكاتب أساطير وناشطة حق المرآه بالتصويت من المملكة المتحدة.

(٣) عالمة آثار أمريكية شهيرة.

(٤) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%85%D9%8A

(٥) أستاذة جامعية وباحثة في تاريخ العصور الكلاسيكية وكاتبة أساطير وناشطة في حق المرأة في التصويت، من المملكة المتحدة.

(٦) عالم أنثروبولوجي اسكوتلندي، قام بجرد كوكبي للأساطير والطقوس.

(٧) Cynthia Eller, The Myth of Matriarchal Prehistory: Why An Invented Past Will Not Give Women a Future, Beacon Press. (2000).

(٨) أستاذة سابقة للدراسات الدينية في جامعة كليرمونت Claremont University للدراسات العليا.

١٩٩٤م)[١] التي مارست دوراً كبيراً في بناء أسطورة «النظام الأمومي القديم» في أواخر القرن العشرين، رغم كونها كذبة لرفع شأن المرأة، لا غير.

يقول شَارْلْ تُورْجِيوْنْ Charles Turgeon (١٨٥٥-١٩٣٤م)[٢]: «النظام الأمومي، في نظرنا، ليس سوى مؤسسة من الهمجية البسيطة؛ وسيكون من الخطأ أن تنتصر له النسويات»[٣]. وقد ذهبت فَرَانْسُوَازْ هِيرِيتِيي Françoise Héritier (١٩٣٣-٢٠١٧م)[٤] إلى النفي المطلق لقيام نظام أمومي في تاريخ البشرية[٥].

ثالثاً: مكانة الذكورية في النظامين الأمومي والأبوي: نقد داخلي للأسطورة:

يشير مصطلح «الأبوي» Patriarcat إلى «علاقات القوة التي تخضع في إطارها مصالح المرأة لمصالح الرجل»[٦]. ورغم ذيوع هذا المفهوم وشيوعه فهو ليس جامعاً مانعاً، بل هو تعريفٌ ملغومٌ، يأباه كثيرٌ من كبار العلماء الاجتماعيين[٧]، ويردّ عليه واقع المجتمعات الإفريقية ذات البناء التكامليّ بين الجنسين قديماً وحديثاً.

ولكنّ الإشكال المطروح؛ أنّ أسطورة النظام الأمومي غذّت العقدة النفسية لدى النسوية تجاه «الذكورية»، فصنعت حرباً شعواء ضدّها، علماً أنّ القراءات التفكيكية لبنياتها تهدينا إلى القول: إنّ «الذكور» قد حظَوا بعُلُوِّ المكانة تحت السلطة الأمومية «المزعومة» ذاتها. وبيان ذلك:

١- مكانة الرجل في أسطورة النظام الأمومي القديم:

وفقاً للرؤية النسوية: كان «النساء والرجال يعيشون حياة جنسية حرة، سواء كانوا من الشعب العادي أو الآلهة الذكور أو الإناث»[٨]، وفي هذا إعلاءٌ لشأن الرجل في ذلك النظام، لأن الأنوثة والجنس أمورٌ صناعية ذكورية في التصور النسوي، للسيطرة على «جسد المرأة»[٩]، والعلاقات الجنسية عنفٌ ضدّ المرأة، وتحقيق لذات الرجل، دونها، فبينما يتصف «عضو التأنيث» بالرقة والوئام، يتصف «عضو التذكير» بالصراع والسلاح والغزو في «اقتحام الذكر للأنثى»[١٠]. وعليه؛ ففي إثبات الأنوثة والجنس والزواج في النظام الأمومي رفعة للذكور، ونقض للنظريات النسوية.

٢- اختراع الديانة الأمومية لمحاربة الديانات الإبراهيمية الأبوية الذكورية:

نشأت الأسطورة في النسوية لمحاربة اليهودية والمسيحية والإسلام باعتبارها «ديانات ذكورية»، وضعها «الإله الذكر»، لإحكام السيطرة على الأنوثة في نظرها. فترى النسويات مثلاً: أنّه عند «تأليف (سفر التكوين) عُزِيَ الإبداع والتناسل إلى الإله الذكر الكُلِيّ القوة، الذي أسّسته كلمات مثل: (الله)

(١) عالمة آثار أمريكية شهيرة.

(٢) أستاذ تاريخ المذاهب الاقتصادية بكلية الحقوق جامعة رين Université de Rennes.

(٣) https://dictionnaire.lerobert.com/definition/matriarcat.

(٤) بروفيسورة في معهد فرانسا التاريخ Collиge de France، متخصصة في الدراسات الإفريقية المقارنة.

(٥) https://www.axellemag.be/le-matriarcat-une-utopie-non-realite/#:~:text=Au%2019e%20si%C3%A8cle%20par,toujours%20aux%20mains%20des%20hommes.

(٦) النسوية وما بعد النسوية: دراسات ومعجم نقدي، سارة جامبل، ص٢٢.

(٧) Heide Goettner-Abendroth, Les Sociйtйs matriarcales, Recherches sur les cultures autochtones a travers le monde, Йditions des femmes (2019), Pages 574.

(٨) توأم السلطة والجنس، نوال السعداوي، ص١٣.

(٩) فيمينزم (الحركة النسوية) مفهومها أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية، نرجس رودكر، ص١٣٨.

(١٠) المرجع السابق، ص٢١.

و(الملك) كإله ذكر، أما الجنسانية الأنثوية فصارَت مرتبطة بالخطيئة والشرّ، إلّا إذا ارتبطت بأهداف تناسلية»[١]. علماً أنّ خلق آدم (الذكر) سابقٌ على خلق حواء (الأنثى) في الكتب السماوية، فاختُلقت الأسطُورةُ للإطاحة بالنظام الأبوي برمّته.

٣- قيام النسوية ذاتها على أكتاف النظام الأبوي الذكوري:

تسعى النسويات للإطاحة بالذكورية، غير أنّ جميع حركاتها «قد اعتمدت بصورة على الرجال في تشكيل مواقفها»[٢]، كالألمانيّ فريدريك إنجلز friedrich Engels (١٨٢٠-١٨٩٥م)، والفرنسي ميشَالْ فُوكُو Michel Foucault (١٩٢٦-١٩٨٤م)، حتى سِيمُونْ دِي بُوفُوَارْ Simone de Beauvoir، (١٩٠٨-١٩٨٦م)، رائدة الموجة النسوية الثانية، فقد تأثّرت في كتابها (الجنس الثاني) بجون بول سَارْتَرْ Jean-Paul Sartre (١٩٢٦- ١٩٨٤م) في فلسفته الوجودية l'Existentialisme، وبالتصور الهيغيليِّ للآخر[٣]. وفوق ذلك؛ فالنسوية نفسها مصطلحٌ نحته الفرنسي شَارْلْ فُورِيي Charles Fourier (١٧٧٢-١٨٣٧م) سنة ١٨٣٧م، وهو رجل.

ولذلك؛ فإنّ النسوية انطلقت من منطلق الصراع بين الجنسين لنسج الأسطورة لإعلاء شأن الإناث، وتشويه صورة الذكور. فالأم في الرؤية النسوية تظلّ تحافظ على أولادها «وتحميهم من الحيوانات الجائعة المفترسة، بل كانت تحميهم أيضاً من الرجل، الذي كان حين يأكل أطفاله- دون أن يعرف أنهم أطفاله- يأكل الذكور منهم، ويغتصب الإناث ثم يأكلهن»[٤]. ولكن من خلال تفكيك الأسطورة، من خطابات النسويات أنفسهنّ، وجدنا أنّ مكانة الرجل في النظام الأمومي «المزعوم» لا تختلف عمّا عليه الوضع في النظام الأبوي.

رابعاً: النظام الأمومي والأبوي في إفريقيا: رؤية تكاملية في الإسلام والهوية الإفريقية:

من القواسم المشتركة بين الهوية الإسلامية والإفريقية انطلاقهما من منظور تكامليّ في التعامل بين الجنسين، مع تحديد مجالات الاشتغال لكلٍّ منهما أحياناً، مراعاةً للفروق والطاقات البيولوجية وتنوّع الميولات والرغبات النفسية.

١- حضور نظامي الأمومي والأبوي في إفريقيا ومنطلق التكامل بين الجنسين:

إفريقيا أبوية في الغالب، وللأمومية حضورٌ ملحوظ أيضاً، فمجتمع الأَكَانْ Akans أمومي، وهو موجود في أربع دول غرب إفريقيا، وهي: غانا وكوت ديفوار وبينين وتوغو. ويُقَدَّر حضورهم في كوت ديفوار وغَانَا بما بين ٨ و١٠ ملايين نسمة[٥]، منها نحو أربعة (٤) ملايين في كوت ديفوار، أي: ما يمثّل نحو ٢٣٪ من مجموع السكان في كوت ديفوار[٦].

ولكن النظام الأمومي الإفريقيّ لا يعني السلطة المطلقة للمرأة، تقول الألمانية هَايْدْ غُوتْنَرْ- أَبِنْدْرُوثْ Heide Goettner-Abendroth[٧]:

(١) نشأة النظام الأبوّي، تأليف غيردا ليرنر Gerda Lerner، ترجمة: أسامة إسبر، مراجعة: الأب بوليس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، (د. ت)، بيروت- لبنان، ص٣٦.

(٢) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حفناوي بعلي، ص١٠.

(٣) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D9%85%D9%88%D9%86_%D8%AF%D9%8A_%D8%A8%D9%88%D9%81%D9%88%D8%A7%D8%B1

(٤) توأم السلطة والجنس، السعداوي، ص١٣.

(٥) https://rezoivoire.net/ivoire/patrimoine/3789/le-matriacat-akan.html

(٦) https://rezoivoire.net/ivoire/patrimoine/606/matriarcat-baoule-reine-celibataire-et-culte-des-ancetres-maternels.html

(٧) عالمة الاجتماع وأبرز المتخصصين الدوليين في النظم الأمومية في إفريقيا.

«في العشـــائر الملكية الأمومية، تنقســـم السلطة بطبيعتها إلى قسمين، كما هو الحال بين الشعوب الأموميـــة الإفريقية: يحكم الملـــكُ عالَم الرجال، بينما تحكم الملِكَةُ، الملقَّبةُ بـ«المرأةُ الملكُ» Roi femme، عَالَم النســـاء. ولهذا الســـبب نستخدم مصطلـــح «مملكةُ الملِكـــة – الملِك» Royaume de reine-roi فـــي هـــذه البنية ذات الســـيادة المزدوجة»[١].

وفي هذا دليل واضح على غياب الحكم المطلق للإناث في إفريقيا. وقد دفـــع ذلك هَايْدْ غُوتْنِرْ - أَبِنْدْرُوثْ إلى إعادة تعريف للنظام الأمومي برمّته، واعتباره ضرباً مـــن التوازن équilibre والتكامل Complémentaire بين الجنســـين في الحكم، بعيداً عن منطق الصراع والاستبداد[٢].

٢- مكانـة الأمومـة والأبـوة فـي الثقافـة الإفريقيـة: رؤية تكاملية بين الجنسين:

يمثّل الوالدان (الأب والأم) الجنسَـــين (الذكر والأنثى) فـــي المجتمعات الإفريقية، ويتعاونان في تربية أولادهما، فيكون الأبُّ هو المســـؤولَ الأول عـــن تربية الذكـــور، والأمُّ هي المســـؤولة الأولى عن تربية الإناث. ويتربـــى الأولاد كلّهم على طلب «بَرَكَـــة» والديهما معاً، ورغبـــة تحقيق آمالهما في الحال والمآل، معتبريـــن عقوقهما مهلكة ومجلبة للعنة. وقد عبّرت الســـنغالية فَاتُـــو صُو Fatou Sow عـــن أســـباب نجاحهما – هـــي وصديقتها الدهومية «بنينيـــة» بين نحو ثلاثمائة طالباً – إلى أمل والديهما، فتقـــول: «فكان لابدّ أن ننجح (...) لأن آباءنا كانوا قد وضعوا فينا أملهم الكبير»[٣].

وفي المنظور الاقتصادي؛ كانت المرأة صانعة الأقمشـــة في مجتمع الأَكَانْ Akan، وكان الرجل المسؤول عن التســـويق عبر السفر إلى الحواضر الإفريقيـــة في تومْبوكتـــو وغيرها، ولكـــنّ تدخّل المســـتعمر في صناعة الأقمشـــة، وإنشاء شركة Gonfreville عـــام ١٩٢٣م، في كـــوت ديفوار، قد ضرب هـــذه الصناعة الأســـرية في الصّميم؛ وأحدث هلهلـــة واضحة في نظام العلاقة الزوجية الأسرية[٤].

٣- مكانـة الأمومـة والأبـوة فـي منظومـة الفكـر الإسلامي:

تكريم جنس الإنسان من أصول الإسلام، قال جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وبنو آدم ذكور وإنـــاثٌ، والذكورية والأنوثة قدرٌ، لا اختيارٌ، كقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَـــاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]، وفي تكريمهما معاً تكريمٌ لله تعالى، فالمسلم مأمور بتكريم «تكريم الله» تكريماً لله الكريم. والإســـلام قائمٌ على مبدأ الشـــكر والعرفان على الإنعام والإحســـان، كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقول نبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)[٥].

هذا؛ وقد اجتمـــع الأمران في الوالدين، إذ

(١) Heide Goettner-Abendroth, Reine-Roi, la double souveraineti matriarcale en Afrique de l'Ouest, Dans Les Sociiti matriarcales (2019), pages 459 a 496, https://www.cairn.info/les-societes-matriarcales--9782721007018-page-459.htm

(٢) https://www.axellemag.be/le-matriarcat-une-utopie-non-realite/#:~:text=Au%2019e%20si%C3%A8cle%20par,toujours%20aux%20mains%20des%20hommes.

(٣) Publii le 11 Mars 2020, sur: https://information.tv5monde.com/video/droits-des-femmes-en-afrique-14-fatou-sow-une-defricheuse-du-feminisme-africain

(٤) المرأة في غرب إفريقيا: قراءة في العادات والتقاليد المحيطة بها، بمبا آدم / فاطمة توري، ٢٠١٣م، ص١١.

(٥) سنن الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ط٢، (ج٤، ص٣٣٩)، الحديث رقم (١٩٥٤).

همـــا ابنا آدم، ذكراً وأنثى، أولاً، وقد أنعمَا على الإنســـان- بعد إنعام الله تعالى عليه- بالولادة، فوجب شـــكرهما ومقابلة إحسانهما بالإحسان، مثلمـــا وجب ذلك فـــي حق المولى ســـبحانه. وهذا هـــو مبدأ الطاعة لله تعالـــى وللوالدين، قال تعالـــى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُـــدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿أَنِ اشْـــكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]. كما أوجب الله تعالى الدعاء للوالدين أحياءً وأمواتاً، شكراً للتربية الوالدية في الصغر، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَـــا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإســـراء: ٢٤].

خامساً: علاقة الفكر النسوي بالمثلية الجنسية وأثره في انتشارها في إفريقيا:

ارتبطت النسوية ارتباطاً وثيقاً بالمثلية منذ ثلاثينيات القرن العشرين، وفي ظلّها تنتشر في إفريقيا المعاصرة.

١- ارتباط النسوية بالمثلية الجنسية ما بين السبعينيات والثمانينيات:

تأسس اتحاد تحرير النساء في شيكاغو[١] عام ١٩٦٩م، ومارس دوراً رائداً في حركة تحرير المرأة في شـــيكاغو في الســـبعينيات. ولكن ما لبث أن اعترفت النسوية أن «تحرير المرأة مستحيلٌ إلا إذا حارب العنصرية والرأسمالية أيضاً، والنضال كذلك من أجل تحرير المثليين والمثليات»[٢]. وألّفت في ذلك رائدة النسوية في نيويورك آنْ كُويدَتْ Anne Koedt[٣] مقالتها التي اشتهرت بها عام ١٩٧٠م، بعنوان «أســـطورة النشوة الجنســـية المهبلية»[٤]. ونفـــس الأمر مع جمعيـــة نهر كُومْبَاهِـــي[٥]، التي عُرفت بنســـوتها المثلية المتطرفة، النشـــطة في بُوسْطُنْ منذ عام ١٩٧٤م.

٢- دور رائدات النسوية الراديكالية في إرساء المثلية قولاً وفعلاً:

وُلدت «المثلية» من رحم «النسوية» في الغرب، وتســـايرها فـــي أجنداتها اليوميـــة. وأبلغ وصف يختصر المســـافات هنا قول جِيلْ جُونْسْتُونْ Jill Johnston (١٩٢٩-٢٠١٠م)[٦] عـــام ١٩٧٩م: «المثلية الجنسية هي الحلّ»[٧]، وتقول تِي ـ غْرِيسْ أَتْكِينْسُونْ Ti-Grace Atkinson[٨]: «النسوية هي النظرية، والسحاق هو الممارسة»[٩].

وعمليّاً: فقد عُرفت الفرنســـية رائدة الموجة النســـوية الثانية سِيمُونْ دِي بُوفُوَارْ Simone de Beauvoir، (١٩٠٨-١٩٨٦م) بعلاقاتهـــا المثلية مع تلميذاتها القاصـــرات، فأُوقفت عن التدريس في فرنســـا عام ١٩٤٣م[١٠]، والفرنســـية مُونِيكْ فِيتِيـــغْ Monique Wittig (١٩٣٥-٢٠٠٣م)،

---

(١) Chicago Women's Liberation Union.

(٢) LESBIANISME ET FЙMINISME — ANNE KOEDT NUMЙRO ONZE - 28 JANVIER 2021, https://trounoir.org/?Lesbianisme-et-feminisme-Anne-Koedt.

(٣) نسوية راديكالية أمريكية، وعندها: «أسطورة النشوة المهبلية» (١٩٧٠).

(٤) The Myth of the Vaginal Orgasm.

(٥) Le Combahee River Collective.

(٦) ناشطة نسوية أمريكية.

(٧) النظرية النسوية: مقتطفات مختارة، تأليف: ويندي كيه كولمار وفرانسيس بارتكوفيسكي، ترجمة: عماد إبراهيم، مراجعة وتدقيق: الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة العربية الأولى، ٢٠١٠م، ص١٩.

(٨) ناشطة نسوية وكاتبة أمريكية راديكالية.

(٩) Katherine Costello, MONIQUE WITTIG (OU LE LESBIANISME INTRADUISIBLE), Publiйe le 24 mai 2021 dans Monique Wittig, https://worldgender.cnrs.fr/notices/monique-wittig-ou-/le-lesbianisme-intraduisible

(١٠) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D9%85%D9%88%D9%86_%D8%AF%D9%8A_%D8%A8%D9%88%D9%81%D9%88%D8%A7%D8%B1

والأمريكية جُوديـــتْ بَتْلِرْ Judith Butler مُنظّرة المثلية للموجة النســـوية الثالثة مثليـــةٌ. كما أدّى تطور النســـوية الراديكالية إلـــى وجود أغلبية من المثليات في النسوية الفرنسية بين عامي (١٩٨١-١٩٨٢م)[١]. أما اليوم؛ فحدّث، ولا حرج.

٣- دور الحركات النسوية في نشر المثلية في إفريقيا:

تحاول بعض النســـويات نفي المثلية والسحاق عن النســـوية الإفريقية، كالغانية أَنِيـــتْ جُوزِيفْ غَابْرِييـــلْ Annette Joseph-Gabriel[٢]، والكونغوليـــة رِيشِـــينْ مَاسِـــينْغُو Richine Masengo[٣]، وغيرهما، لكنّ النسوية هي الذراع الأيمن للمثلية في إفريقيا.

ومن ذلك؛ قول رِيشِـــينْ مَاسِـــينْغُو Richine Masengo بمناسبة تسلّمها جائزة توليب لحقوق الإنســـان من الحكومة الهولندية عـــام (٢٠١٩م): «نحن نعمل لإرســـاء احترام الحيـــاة الخاصة لكلّ فردٍ، وســـبب تفانينا في ممارســـة حقوق الصحة الجنســـية والإنجاب لجميع الشباب، بما في ذلك حقـــوق المثليين (المثليـــات والمثليين، ومزدوجي الميل الجنســـي، ومغايـــري الهوية الجنســـانية، والأشخاص ثنائيي الجنس، وغيرهم)»ا.ه[٤]، وقول الإيفوارية لُوفْ غِيغِي Love Gugu[٥]: «سأموتُ مثليّة» ا.هـ[٦].

وللأســـف؛ أنّ إفريقيـــا المعاصـــرة تتجه نحو تبنٍّ رســـميٍّ للمثلية، أو تعايشٍ ســـلميٍّ مع المثليـــين، في ظـــلّ الدعم الدولـــيّ والإقليمي للمنظمات الحقوقية والتيارات النسوية الداعمة للمثلية، عبر المقررات المدرسية باسم «التربية الجنسية»، و«الصّحة الإنجابية»، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية، حتى عالم الروايات الأدبية المكتوبة البريئـــة، جلّها انتصـــارٌ للمثلية، رغم ضررهـــا الكبير على المجتمـــع، أخلاقاً وقيماً، وأسرةً واقتصاداً.

والحالة هذه أنّ المجتمعات الإفريقية متديّنة، والمثلية محرّمة في الإسلام والمسيحية، وهي لعنة في الديانات الإفريقيـــة التقليدية[٧]، إذ العلاقات الجنســـية في الرؤية الإفريقيـــة التقليدية ضربٌ من الروحانية تُمـــارَس في إطار الزواج أولاً، وبين الرجال والنســـاء ثانياً، وهذان الشرطان مفقودان في المثلية الجنسية.

ولهذا؛ قالـــت الســـنغالية نُوغِيـــي بَابِلْ صُو Nogye Babel Sow[٨]: «إنّ النســـوية نضـــال المرأة البيضاء. نضال المرأة السوداء يكون بجانب الرجل الأسود وليس ضده»[٩].

---

(١) Justine Zeller, Rйflexion sur les liens entre fйminisme et «lesbianisme»: la Maison des femmes de Toulouse, https://journals.openedition.org/framespa/5126#tocfrom1n4

(٢) فرنسية من أصول غانية، ناشطة وأستاذة الدراسات النسوية في جامعة Duke University في كارولينا الشمالية بأمريكا.

(٣) مديرة الجمعية النسوية «لو يعلم الشباب» O.NG Si la Jeunesse Savait SJS، في كونغو الديموقراطية.

(٤) https://mwasi.com/wp-content/uploads/2019/12/Discours-Richine-Remise-prix-Human-Rights-Tulip-Award-DRC-2019.pdf.

(٥) من كبار الشخصيات الإيفوارية المؤثّرة، وأكثر سحاقياتها شهرة.

(٦) Publiй le 08 Aoыt 2023, sur: https://www.afrique-sur7.ci/494426-love-gugu-choque-la-toile-je-vais-mourir-lesbienne#google_vignette

(٧) نظام الأسرة في إفريقيا الغربية في ضوء القيم الإسلامية والقوانين الوضعية: كوت ديفوار نموذجاً، محمود سورو، ص٢٢٩.

(٨) ناشطة حقوقية، لا نسوية.

(٩) Publiй le 24 Juillet 2020, https://web.facebook.com/1513824945370872/posts/3267492023337480/

سادساً: مفهوم المساواة عند النسوية من منظور الفكر الإسلامي والهوية الإفريقية:

هذه إضاءات على بعض الجوانب المسكوت عنها في شعارات «المساواة بين الجنسين» لدى الشريحة النسوية.

١- العلاقات بين الجنسين: المساواة - المفاضلة - الانقلاب:

تعتبر النسوية أنّ النظام الأبوي فرّق بين «العرق السيّد (الرجال)، والعرق الأدنى (النساء)»[١]، ولذلك تدعو إلى المساواة بين الجنسين.

ولكنّ المساواة في ذاتها ليست بريئة، فهو مفهوم فضفاضٌ ومشترك لفظيّ، يحتمل معاني أكثر عند الاستعمال، فقد يُقصد بها:

- المساواة في الحقوق: علماً أن معناها المتبادر إلى الذهن قد أصبح متجاوزاً في الغرب، خاصةً مع إبهام «الحقوق» المذكورة.

- أو المساواة الندّية: بذوبان الفوارق البيولوجية، باعتبار «الأنوثة والجنس أموراً صناعية»[٢].

- أو حقوق المثليين: كما يغلب استعمال المساواة في السياق الغربي المعاصر للدلالة على «حقوق المثليين».

وهكذا؛ يظهر أنّ «المساواة» مفهوم فضفاضٌ يُستعمل بصيغ ملتوية غلطاً وتغليطاً. ويتعذّر تحقيق مطلب المساواة بين الجنسين، في ظلّ سعي النسوية للإطاحة بالذكورية، واستبدال الأنوثة بها.

٢- مفهوم المساواة والشعور بالنقص لدى المرأة:

المساواة بين شيئين تعني أنّ في أحدهما فضلاً مفقوداً في الآخر. فمطالبة المرأة بمساواتها بالرجل اعترافُها بكماله، وشعورُها بدونيتها. وعليه؛ فالمساواة جَعْل الذكر معياراً تقيس به الأنثى كمال ذاتها، وهو الشخص المثالي الذي تقارن به أنوثتها، وهذا إنكارٌ للذات، تقول السنغالية فَاتُو دِيُومْ Fatou Diome[٣] في نقدها للنسوية: «إذا كانت النسوية إنكاراً لأنوثتها، فذلك ضَعْفٌ. ذلك يعني عدم تحمّل مسؤولية كوني امرأة. فلا أحتاج إلى لبسة الرجل كي أُحتَرَمَ»[٤].

٣- تكافؤ الفرص بين الجنسين: المساواة طريقاً إلى اللامساواة:

تشجيع تكافؤ فرص العمل من الوجوه المشرقة للمساواة بين الجنسين، ولكنّه مطمح محفوف بعراقيل، نظراً لانعكاس الثقل الخارجي للأبوية (الاستعمار والعولمة) سلباً على المرأة الإفريقية[٥]. ونمثّل ذلك بصناعة الفَخّار التي كانت مهنة مختصّة بالنساء في جميع القبائل الإفريقية، وهو من الأدوات الأساسية المعتمدة في الطهي والأكل، وفي جلب الماء وادّخاره[٦]، فسحبت الشركات الصناعية هذه المهنة من المرأة لصالح الرجل.

وأيضاً؛ فإنّ فرص العمل المعاصرة قائمة بالدرجة الأولى على الكفاءة المهنية وجودة الإنتاج، بصرف النظر عن الجنس. تقول السنغالية فَاتُو

(١) النظرية النسوية: مقتطفات مختارة، تأليف: ويندي كيه كولمار وفرانسيس بارتكوفيسكي، ص٥٢.

(٢) فيمينزم (الحركة النسوية) مفهومها أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية، نرجس رودكر، ص١٣٨.

(٣) كاتبة سنغالية وروائية أفريقانية، مناهضة للاستعمار والنيوكولونيالية.

(٤) Publiй le 17/10/2015, Rencontre avec Fatou Diome - Thиme: Fйminisme – CEC, https://www.youtube.com/watch?v=8-uw2hBeD_A

(٥) Fatou Sow, Repriйsentations de la fйminitй et revendications citoyennes en Afrique: plus qu'un dйbat politique, International African Institute Biennial Lecture, Йdimbourg, Royaume Uni, 11 juin 2019, p.7.

(٦) الفرق الدينية في ساحل العاج، عقائدها وأوجه نشاطها وموقف الإسلام منها، يونس توري، ص١٤.

ديُــومْ Fatou Diome في نقدها للنســوية: «لا ينبغي للإنسان تســويغ قَدَرِه كُلّه بأنّه امرأة، فقد تُمْنَحُ رجلٌ وامرأةٌ نفسَ الشروط الاجتماعية، فيَكِدُّ أحدهما حتى ينجح. ولكن، عندما تمنحون المرأة كلّ إمكانيات الدنيا ولا تجتهد، فلن تنجح حتماً»[1].

والملاحــظ أنــه كلّما زادت فــرص الاختيار والحرّيــة المهنية بين الجنســين اتســعت رقعة اللامســاواة بينهما، تبعــاً للفــوارق البيولوجية واختلاف الميولات النفســية، كمــا في قوله عز وجل: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَــرُ كَالأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، فتبقى التقوى المعيار الوحيد للتفاضل بين البشر في الإســلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وعليه؛ فتحقيق المساواة بين الجنسين وفق شعارات النسويات مطمحٌ بعيد المنال.

الخاتمة:

تلك إذاً؛ محاولةٌ لتقريــب صورة الحركات النســوية في إفريقيــا المعاصرة. فالنســوية انطلقــت حركــة اجتماعية طالبت بتحســين وضعيــة المرأة فــي المجتمــع، وامتزجت في مسارها التاريخي بمختلف النظريات السياسية والفلسفية المتعارضة، ونتج عن ذلك انشقاقاتٌ، وخبطٌ وتخبــطٌ فــي المناهــج والمرجعيات والوســائل والغايات، وقد باتــت إفريقيا جنوب الصحــراء أرضية خصبــة لتطبيق مشــاريع التيارات النســوية المتصارعة، بغطاء أجندات سياســية وأيديولوجية خادمــة لمصالح القوى الغربية والأوروبية.

إنّ النســوية قضيّةٌ سياسيةٌ وعَقَدِيَّةٌ في آنٍ، تؤمن من خلالها المرأةُ إيماناً جازماً بوجُود «آلِهَةٍ أُنْثَى» في عصور ما قبل التاريخ، وبقدرة «الإلَهَة الأُمّ» بنــاءَ «عالَم أُنْثَوِيٍّ» متســامح، ظلّ ذكوره عبيد الإناث، فمثّل بذلــك فردوس الأرض. ثم قاد «الإلَهُ الأَبُّ الجَدِيدُ» ثورة ذكورية لاســتبدال النظام الأمومي، وإحلال النظام الأبوي الذكوري (الحالي) مكانه. وعليه؛ تســعى النســوية الآن للإطاحــة بالنظام «الذكــوري»، وإعادة تنصيب «النظــام الأمومي»، لتعود المرأة إلى ســلطتها السياسية والدينية.

في ســياق البحث عن ســبل الانعتاق عن «الهيمنة الذكورية»؛ تســعى النســويات لتحرير المــرأة للمــرأة، لترتمي النســاء بعضهنّ في أحضان بعــض، تحقيقاً لاســتقلالهنّ الذاتي، اقتصاديّــاً، وجنســيّاً. فأدّى ذلك إلى انتشــار «المثلية» و«السحاق» في العالم النسوي، وإرساء قضايا «المساواة بين الجنسين». في ظلّ سيادة الــروح التكاملية بين الجنســين فــي الذهنية الإســلامية الإفريقية، واعتبار «المثلية» مهلكة ولعنةً في الثقافة الإفريقية.

باتت «النسوية» مشكلة حقيقية، وبها تنتشر «المثلية» وباء الأمــم المعاصرة، وبدعوتها إلى «المســاواة بين الجنســين» دخلــت المرأة في صراع ضدّ الطبيعة، والحالة هذه أن المســاواة ذاتها مفهومٌ ملغومٌ يُستخدم بصيغ ملتوية.

فحــريٌّ بالمــرأة الإفريقيــة الاجتهاد في تكوينها الذاتي، وتنمية قدراتها المعرفية، وتعزيز مهاراتها المهنية، لمواجهــة مختلف التحديات الفكرية والاقتصادية، ومن ثَمّ بناء مستقبلٍ نزيهٍ مع الرجل، وفق ما يُرضي اللهَ ربَّها، بدل اللجوء إلى صراخ وعويل حول شــعارات مغرضة. أما دخــول المرأة الإفريقية في صــراع مع الرجل الإفريقيّ فهو إلهاءٌ وتشتيتٌ للجهود، واستبدال الأدنى بالذي هو خيرٌ ■

(١) Publiй le 17/10/2015, Rencontre avec Fatou Diome - Тнимe: Fйminisme – CEC, https://www.youtube.com/watch?v=8-uw2hBeD_A